المحاضرة الثانية: التعليمية من الفنية إلى العلمية

تمهيد: تعرّف التعليمية بأنها الدراسة العلمية لطرائق التدريس وتقنياته، وتعد علماً قائماً بذاته تنصب اهتماماته على الإحاطة بالتعليم، ودراسته دراسة علمية، وتقديم الأبحاث العلمية عنه، وذلك من خلال البحث في محتوياته، وطرائقه، ونظرياته المختلفة، و قد خطا هذا العلم خطوات معتبرة في مسيرة هذه الاستقلالية انتقل فيها من مجرّ أفكار و آراء ذاتية تربطه بالفن ليصير في القرن الحالي علما دقيقا و تخصّصا.

1- التعليمية فنّ ثم علم:

تشير كثير من المعاجم والقواميس المختصة أنّ كلمة "ديداكتيك" ظهرت كصفة في القرون الوسطى، حيث تمّ إدراجها لأوّل مرّة في معجم "Le grand encyclopédique" سنة **1554**م، وتشير إلى أسلوب شعري معروف كانت من خلاله تطرح النظريات والقوانين العلمية"

واشتقت( Didactique ) من اللفظة اليونانية "Didactikos" المشتق هو الآخر من الفعل"Didastine" وتعني نظرية أو أسلوبًا في التعليم، أو هي علم يتّخذ أساليب التعليم موضوعًا له"

وقد وظّف **هلينج وراتيش**( Heling, Ratich ) لفظة ديداكتيك في علم التربية لأوّل مرة سنة **1613**، في بحث تضمّن حديثًا عن النشاطات التعليمية، واستخدما هذا المصطلح كمرادف **لفن التعليم.**

لكن التطوّر الفعلي والإجرائي لمصطلح "ديداكتيك" كان على يد المربي التشيكي **كامنسكي** ( Kamenskis ) أين عنون كتابه بـ: التعليمية الكبرى( Didactica Magna ) سنة **1957**.وأشار إلى أنّ الديداكتيك "ترتبط **بالفن العام** للتعليم في مختلف المواد التعليمية، وهي ليست للتعليم فقط بل للتربية أيضًا"

إذن لقد ساد في القرن 17 مصطلح الديداكتيك ليدلّ على **فن التعليم** وكلّ ما له علاقة بالتعليم من وسائل تعليمية وطرائق تدريسه، وقد ارتبط في ذلك الوقت لهيمنة فكرة المنهج الّتي صاغ مبادئها ديكارت، حيث أصبح مفهوم العقل قابلًا للتطبيق في مجال التعليم.

كما تبلورت في القرن18 فكرة **عقلنة** الفعل التعليمي مع **كانط**، الّذي دعا إلى عقلنة الأساليب البيداغوجية الموظّفة في التربية المدرسية من خلال تنمية الطبيعة البشرية وتطويرها بشكل يجعلها تحقّق غاياتها الّتي تسعى إليها.

واستمر مفهوم الديداكتيك **كفنّ للتعليم** إلى غاية **القرن19**، مع الفيلسوف الألماني **هربارت**  ( Harbert )، الّذي أسّس نسق التعلّم بناءً على **مرتكزات علمية** تستهدف تربية الفرد، ونظريته جعلت من المعلّم البؤرة الرئيسية في العملية التعليمية، فأضحت التعليمية( الديداكتيك ) علمًا يضطلع بمهمّة تحليل أفعال وأنشطة المعلّم فقط، فقد تم استبعاد المتعلّم بعدّه عنصرًا هاما في الفعل التعليمي.

وفي بداية القرن العشرين( 20 ) ظهرت التربية الحديثة مع **جون ديوي**( J-Dewey ) الّذي ثار على فكر هربارت بجعله الديداكتيك **علمًا** يهتم فعل التعليم ( المعلّم ) لا التعلّم( المتعلّم )، فأكّد على أهمية ودور المتعلّم المحوري، لذلك عدّ الديداكتيك نظرية للتعلّم لا التعليم.

يعدّ **ديوي** من أشهر الباحثين في مجال التربية الحديثة الّذين حدّدوا الهدف من التعليم، كما جعل من المتعلّم مركزًا للعملية التربوية، و من المناهج والطرائق تدور حوله بدلًا من جعله هو من يدور حولها، فالمحتوى في نظره ليس مهمّا بقدر أهمية الطريقة الّتي يقدّم بها هذا المعلّم المحتوى، فعليه أن يختار الطريقة المناسبة الّتي تلاءم المتعلّم ومستواه العقلي، وميوله النفسي، لذلك قلّص من أدوار المعلّم فجعله يضطلع بدور المساعد للمتعلّم حتّى يختار الخبرات التعليمية المناسبة له، وتنظيم استجاباته للمثيرات والمؤثرات قصد فهم الحياة الاجتماعية من حوله، "والاستفادة من المعرفة والخبرات الّتي يحصل عليها في تطوير نفسه وحلّ مشكلاته"

ونتيجة لتطوّر البحث في التربية في **القرن العشرين**، اتّضح أنّ النظرة الأحادية لمفهوم التعليمية عند كلّ من هاربارت، وديوي كانت نظرة قاصرة لأنّهما فصلا التعليم عن التعلّم، فكلّ طرف من أطراف العملية التربوية هو فاعل أو متفاعل مع الطرف الثاني.

وقد ساهمت البحوث اللسانية الحديثة في ترقية الأدوات الإجرائية في حقل التعليمية ممّا جعلها تكتسب المبرّرات المنطقية لتصبح فرعًا من مباحث اللسانيات من جهة، وعلم النفس من جهة أخرى، فأصبحت لها الشرعية الكاملة في الوجود ليس **كفن للتدريس** كما كان سائدًا وإنّما **كعلم** له مرجعياته المعرفية وأدواته الإجرائية وترسانته المصطلحية.

ويرجع الفضل ل**مكاي**( Makey ) الباحث اللساني الكندي في تحيين المصطلح القديم "ديداكتيك" ليدلّ على المنوال التعليمي أين جعل منه بديلًا عن اللسانيات التطبيقية فاستقلّ عنها استقلالا كلّيًا ليؤسّس لوجوده كعلم حديث يشتغل بقضايا التعليم لاسيما تعليم اللغات.

**2- التعلّم بؤرة الدراسات الديداكتيكية:**

**أ- مفهوم التعلّم :** هو العملية الحيوية الديناميكية الّتي تتجلّى في جميع التغيّرات الثابتة نسبيا في الأنماط السلوكية، والعمليات المعرفية الّتي تحدث بين الأفراد نتيجة لتفاعلهم مع البيئة المادية والاجتماعية،" أي يشير إلى التغيّر المطرد في السلوك الّذي يرتبط بالمواقف المتغيّرة الّتي يوجد فيها الفرد، وبمحاولاته المستمرّة للاستجابة لها بنجاح." فهو تعديل في السلوك أو تغيّر في الأداء نتيجة الخبرة والمران، نستنتج إذن:

1- التعلّم عملية تنطوي على تغيّر شبه دائم في السلوك.

2- تحدث نتيجة تفاعل الفرد مع البيئة.

3- مستمرّة لا ترتبط بزمان أو مكان محدّد.

4- عملية تراكمية.

5- تشمل كافة السلوكات المرغوبة وغير مرغوبة.

6- عملية شاملة ومتعدّدة المظاهر( السلوكات المعارف، الانفعالات... ).

7- التعلّم عملية تغيّر في السلوك يتّصف بالاستمرار النسبي.

8- هذا التغيّر يطرأ على الأداء( الجانب الّذي يمكن قياسه )و يحدث بشرط الممارسة المعزّزة.

**ب- شروط التعلّم ( عوامله ):**

**1-الدافعية:** لا يحدث التعلّم إلّا بوجود الدافع عند الفرد الّذي يضمن لنا نجاحه واستمراره( لا تعلّم دون دافع ).

والدافع: حالة من التوتّر الجسمي والنفسي يخل بتوازن الفرد، فيحاول استعادة هذا التوازن( تغيّر في السلوك ).

**2-النضج:** عملية نمو داخلي يشمل جميع جوانب الكائن الحي، ويحدث بطريقة لاشعورية، وعلى المعلّم أن يكون على وعي بمراحل النضج المختلفة لدى المتعلّم. فيقوم بالإجراءات المتعلّقة بضبط حالة النمو عند الطفل وحصر مراحلها المختلفة. وتحديد خصائص نمو المتعلّم( فزيولوجيا، عقليا، انفعاليا، اجتماعيا ) لتحديد التعلّمات.

**3-الاستعداد:** مرحلة متقدمة للدافعية، ترتبط بالنمو العقلي والعضوي والعاطفي للمتعلّم.

**4- الفهم:** أهم عامل في التعلّم، لا يتحقّق إلّا بتوافر شروط أهمها: التجانس في النظام التواصلي بين المعلّم والمتعلّم.

**5-التكرار:** هو استمرار لفعل العلاقة بين المثير والاستجابة، وهذه العلاقة تتحوّل عند المتعلّم إلى عادة تجعل منه قادرا على استيعاب المفاهيم في سياقات متباينة.

**6-التذكّر:** وهو مرتبط بالإدراك / الفهم، فكلّما كان فهم الخبرة التعليمية أفضل، كلّما كان المتعلّم قادرًا على تخزينه ثمّ تذكّره.

**7-الممارسة:** تطبيق المعارف المأخوذة، وهي عملية قائمة على تكرار النشاط مع توجيه معزّز.

**8-** أن تعترض المتعلّم مشكلة ما يسعى للبحث عن حلول لها.

**ج- مجالاته:**

**1-المجال المعرفي( العقلي ):** يتم على مستواه اكتساب المعاني الذهنية والمعارف العقلية، من أفعاله: يفكّر، يحلّل ،يستنتج ، يشكّل ، يركّب ، يستوعب .....، ويركّز على اكتساب واستخدام المعرفة.

**2-المجال الانفعالي:** يركّز على التغيّرات الداخلية لسلوك المتعلّم و تبني موقف أو اتجاه أو قيمة من أفعاله: يقيّم ، يشعر ، يحب، يتفاعل ،......

**3- المجال المهاري( النفس حركي ):** تقوم على حركات أدائية تتطلّب تنسيقا بين أعضاء الجسم والجهاز العقلي والعصبي و للحواس دور كبير فيها ( الجري، الفقر، استعمال الحاسوب، يكتب، يرسم، يعزف ......... ).

**3- وظائف التعليمية:** تضطلع التعليمية بمجموعة من الوظائف الّتي نوجزها في الآتي:

**أ-الوظيفة التشخيصية:** ويتم على مستواها تقديم المعارف الضرورية عن الحقائق المتعلّقة بجميع العناصر المكوّنة للعملية التعليمية، بهدف الوصول إلى الأحكام والقوانين العامة المفسرة لتلك الحقائق، وتوضيح العلاقات بينها، والتأثيرات المتبادلة.

**ب-الوظيفة التخمينية:** وتتحقّق من خلال:

- فهم العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين مختلف الظواهر التعليمية.

- فهم النتائج المترتبة عن النشاطات التعليمية.

- تحديد وضبط الصيغ التربوية الّتي تؤدي إلى النتائج المتوخاة من العملية التعليمية مستقبلًا.

**ج-الوظيفة الفنية:** وتهتم بتزويد العاملين في الحقل التعليمي بالوسائل والأدوات والشروط الضرورية لتحقيق الأهداف التربوية، والرفع من فاعليتها.

**خاتمة:**

تنطلق التعليمية في ممارسة وظائفها المنوطة بها من تحديد الإشكاليات المتعلّقة بوضعيات التعلّم والتعليم، ثم صياغة الفرضيات حولها، الّتي توضّع على المحك من خلال تصميم الاستراتيجيات لاختبارها وفحصها قصد تنفيذها في النهاية وتقويمها، لذلك اهتمت الديداكتيك ببناء الأهداف، وبطرائق إيصال المعارف والمهارات والمواقف، ورصد الوسائل التعليمية، وكذا بأدوات التقويم ، فانتقلت بذلك من منحاها الفني لتصطبغ بخصائص علمية أسست لتفرّدها و استقلاله.

**قائمة المراجع:**

- إبراهيم الخطي، مصطفى الكسواني: مدخل إلى التربية، دار قنديل، عمّان، الأردن، 2009.

- أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات-، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.

- سعدية سي محمّد: التعليمية( الديداكتيك )، مطبوعة بيداغوجية للسنة الثانية ماستر، علم النفس المدرسي، جامعة البويرة، 2016-2017.

- علي إسماعيل: فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، القاهرة، 1995.

- محمـد الدريج: ديداكتيك اللغات واللسانيات التطبيقية –تداخل التخصصات أم تشويش برادديكمي-، منشورات مجلّة كراسات تربوية، 2019.

- محمـد الصدوقي: المفيد في التربية، منشورات مدونة معلّمي.

- محمـد فاتيحي: مسائل ديداكتيكية، مجلة البحث البيداغوجي"ديداكتيكا"، ع3، ديسمبر 1992، المغرب.

- نجوى فيران: مباحث في اللسانيات التطبيقية و التعليمية، دار خيال، الجزائر،2021.

-Louis Armilla: Dictionnaire de pédagogie et de l'éducation, Bordas, Paris, 2007.